اصداء معركة الدامور

وهم الحماية الغربية يسقط من اذهان الجماهير المسيحية

مصطفى مراد

ثمة « وهم » تاريخي كبير اسقطته التجربة المريرة التي عاشتها الجماهير المسيحية في الاشهر الماضية : « وهم » الضمانات الاجنبية والحماية الغربية لمسيحيي الشرق . فقد تأكدت هذه الجماهير ، خاصة بعد سقوط الدامور ، ان اميركا او اوروبا ليست مستعدة للتدخل ، وان مصيرها لا يهم احدا في هذا العالم الواسع المترامي الاطراف ...

وكانت هذه الجماهير قد اكتشفت قبل ذلك ، وابان وساطة كوف دي مورفيل بالذات ، ان فرنسا مهتمة بموقعها « العربي » وبمصالحها « العربية » الى حد اعلان المعارضة التامة لكل مشاريع التقسيم والاقتتال الطائفي .

ان سقوط هذا الوهم هو احد ايجابيات الصراع الدامي البشع الذي دفع الشعب ثمنه غاليا، وغاليا جدا . وتزداد قيمة هذه « الايجابية » لانها لا تقتصر على بضعة افراد او على حفنة من المثقفين وانما تتردد في وجدان وعلى لسان اوسع الجماهير البسيطة والعفوية . وربما تكون هذه المرة الاولى ، منذ اواسط القرن التاسع عشر ، التي تصل فيها الجماهير المسيحية الى مثل هذا الاستنتاج « البديهي » . ولعل احد اغرب ما في الموضوع ان سقوط هذا الوهم الاستعماري يحصل في لحظة يبدو فيها ان النفوذ الاستعماري يستعيد زخمه ومواقعه في معظم ارجاء الوطن العربي ! لكن اليس ذلك نموذج آخر على التناقض الكامن في طبيعة الاستعمار نفسه ؟

معركة الدامور لم تنته فصولها بعد

والواقع ان اصداء المعركة كانت ابعد كثيرا من نتائجها العسكرية المباشرة . فقد بددت هذه المعركة، ومرة واحدة ، وهم القوة العسكرية التي تمتلكها ميليشيا الكتائب و « نمور » شمعون . وقد انكشف هزال القوى الفاشية على الصعيد العسكري بعد ساعات من « انتصارها » الوحشي على حي المسلخ ـ الكرنتينا الشعبي .

والاهم من ذلك فان التجربة القاسية التي تعرض لها اهالي الدامور (والتي يدين الوطنيون والتقدميون ما رافقها من اعمال وحشية وغير اخلاقية) فتحت اعينهم على الدور الذي لعبه كميل شمعون والكتائب والسلطة في ايصالهم الى هذه النهاية المفجعة . لذلك لم يكن مدهشا ان ارتفعت اصوات اهالي الدامور ـ المشردين بين قرى كسروان والمتن وجزين ـ في الايام الاولى التي اعقبت سقوط بلدتهم ، منددة بشمعون الذي كان يعطي الاوامر بقطع الطريق العام ثم رفض مساعدة البلدة ساعة « محنتها » الا اذا دفعت ثمن المساعدة (من ذخائر واسلحة) عدا ونقدا ! وقد ذهل اهالي الدامور حين علموا ان « قصر » شمعون كان يضم اسلحة وذخائر بكميات كبيرة جدا مخصصة .. للتجارة . وهكذا يمكن القول ان شمعون كان الخاسر الاكبر ، حتى بين مؤيديه ، في معركة الدامور ..

وقد طالت نقمة اهالي الدامور على الكتائب ايضا : لانهم تركوا المدينة لمصيرها ، وايضا لان الاهالي ادركوا الصلة الوثيقة بين سقوط المسلخ والكرنتينا وسقوط بلدتهم ، وبين الاعمال الهمجية التي ارتكبت في الحالتين ... ولا يستبعد كثيرون ان يكون قادة الفاشيست قد اعتبروا ان احراق بلدة الدامور ثمن لا بأس على طريق سياسة « التهجير » والفصل الطائفي .

تجاه ذلك كله ، وامام خطر انتشار هذه الافكار بين الجماهير المسيحية الاخرى ، لجأت قوى اليمين الى اسلوب دياغوجي فاشي قديم : اسلوب القاء اللوم على الخونة « الداخليين » الذين « سهلوا » سقوط البلدة ! وهكذا تكلم اوساط الكتائب والاحرار عن « المئات »من الاشتراكيين والشيوعيين من ابناء الدامور الذين « تواطؤوا » مع القوى الوطنية وكانوا العامل الحاسم في ما حصل !!

لكن المهم الآن هو ان التجربة المريرة لاهالي الدامور لن تذهب عبثا . فقد دفعت هذه الجماهير المضللة ثمنا باهظا للعبة الجهنمية التي ورطها فيها العملاء ، سواء في الارواح او في الممتلكات ويجدر هنا الانتباه الى ان ثروة البلدة كانت تتركز في الملكيات العقارية : الاراضي المزروعة ، والمحلات التجارية ، والمساكن ـ الامر الذي يجعل خسائرها فادحة . ولان الثمن كان فادحا جدا فليس ممكنا بعد ان تنطلي لعبة العملاء مرة اخرى على هذه الجماهير المسكينة .

والمهم ايضا أن تستفيد القوى الوطنية من تجربة الدامور لتظهر صفوفها من مرتكبي الفظائع « المحسوبين عليها » . والمهم ايضا ان تتشكل في اوساط الاهالي نخبة متنورة وشجاعة تأخذ على عاتقها قيادة هذه الجماهير البائسة التي باتت الظروف تؤهلها لاتخاذ مواقفها ـ ببطء حقا ـ الشعبية والوطنية الصحيحة .

المسيحيون واليسار

سوف تعاني الاحزاب الفاشية متاعب كثيرة من جراء حالة السلم الراهنة في البلاد . وسوف يكون من اهم نتائج الهدوء انه سيعمل على تفسيخ التعبئة الفاشية للجماهير ودحض الكثير من مقولاتها الاساسية . ان الفاشية عقيدة هجومية وصراعية . وهي بحاجة دائما الى الصراع المتاجج الملتهب ليوفر اطارا ملموسا يعطي اطروحاتها مصداقيتها وواقعيتها. وبالعكس فالاطار السلمي يخلق واقعية جديدة ليست في صالح تقسيم الناس الى مجرد طوائف متحاربة ، او تقسيم البلد ، او المذابح والتشريد .

ويمكن للمرء حتى في هذه الايام الاولى من الهدوء ان يلمس بوادر انهيار التعبئة الفاشية وعودة الحس الانتقادي الى وعي الجماهير . فمرة اخرى تعود الجماهير المسيحية الى انتقاد « الزعماء » الذين « يحرقون البلد لخدمة مصالحهم » . ومن جديد تعي هذه الجماهير ان التعايش الطائفي ممكن وضروري . وتعلو اكثر فاكثر اصوات الانتقاد للمجازر التي ارتكبها الكتائب ، وخاصة مجزرة « السبت الاسود » .

واذا كان ينبغي للمناضل ان « يتعلم من الجماهير » فان في بعض ما تقوله الجماهير المسيحية المضللة امور عدة تستدعي التأمل . فقد كنا مدهشا ان يسمع المرء العديد من افراد الجماهير « اليمينية» (الذين اعتادوا في الشهور الاخيرة ، ان يعتبروا اليسار عدوا لهم) وهم ينعون على اليسار انه سقط في فخ الطائفية مما اجبرهم هم (اي الجماهير الشعبية المسيحية) على تأييد اليمين . وهكذا يغدو مالوفا اكثر فاكثر ان تسمع فئات من البرجوازية الصغيرة وهي تنفي عن نفسها صفة اليمين والسير في ركاب الميليونيرية وان تنسب مواقفها السياسية الى الظروف ..

ان مثل هذه الاقوال قد لا تصمد امام المحاكمة المنطقية الصارمة . اي انه ليس ضروريا قبولها بحرفيتها . لكن : الا تتضمن مثل هذه الاقوال ما يمكن ان نتعلم منه ؟ واليس صحيحا ان فئات واسعة من جماهير البرجوازية الصغيرة الدنيا والشغيلة من المسيحيين كانت قد بدأت تتجه نحو مواقع شبه يسارية قبل الاحداث الاخيرة ؟ والاهم : فهل نستطيع ، في الحركة الوطنية ، ان نؤكد أن سلوكنا السياسي واليومي كان السلوك القادر على مجابهة هذه المعضلة الحضارية التي ترتقي بجذورها الى القرون العثمانية والغزو الاستعماري ؟

ملف الثورة في ايران

الذكرى السادسة لانطلاق الكفاح المسلح في ايران

حديث عن الموضوعات الاساسية للثورة:

الممارسة والوحدة والفهم العسكري والمسألة القومية

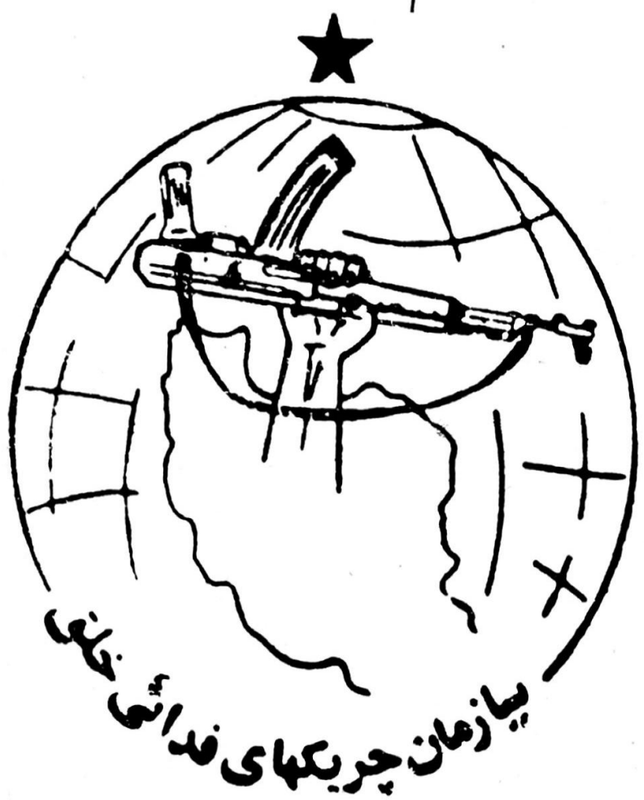

تحتفل الشعوب الايرانية وقواها الثورية في الثامن من فبراير ـ شباط ـ بالذكرى السادسة لانطلاق الكفاح المسلح في ايران ، والذي اعلنته منظمة « فدائي الشعب الايراني » . وتشارك القوى الثورية العربية والاممية الشعوب الايرانيه احتفالها بهذه المناسبة ، لتؤكد مساندتها وتضامنها معها في النضال العادل والمسلح ضد كافة اشكال الاضطهاد والاستغلال والتبعية التي يمثلها النظام الرجعي القائم .

وبهذه المناسبة ، تجدد « الهدف » التعبير عن أوثق اشكال التضامن الثوري مع القوى الثورية الايرانية ، وتنشر نص مقابلة هامة مع احد المناضلين الثوريين الايرانيين ، ليتحدث فيها عن مسائل اساسية منها :

ـ طبيعة المرحلة الراهنة من النضال الثوري الايراني.
ـ اشكال النضال المطلوبة والعلاقة بينها .
ـ وحدة الحركة الثورية الايرانية .
ـ الفهم العسكري للتنظيم .
ـ الحياة الديمقراطية والتركيب الطبقي في التنظيمات الثورية .
ـ دور المرأة في الثورة ...
ـ المسألة القومية والثورة في ايران .